باب الاجتماع الأول

خطبة السلطان (*

(في ضيافته للمبعوثين)

أيها المبعوثون الافندية

أني اصبحت في الحقيقة ممنونا جدا لتناولي الطعام هذه الليلة مع سائر وكلاء أمتي العثمانية ورعيتي الشاهانية فكأنني مع جميع افراد أمتي العزيزة !! زاد حضرة الحق تعالى عددها وسعادة حالها . ان هذه الليلة لمباركة وسعيدة وأظن أنها اول ليلة من نوعها في تاريخ دولتنا العلية ولذلك فاني ابارك عليها وأسأل الله ان يشرفنا جميعا بدوام وقوع أمثالها . ان هذا الاجتماع المسعود هو مبدأ دليل الآثار الفياضة التي منحها القانون الاساسي لدولتنا وامتنا ووطننا والتي سيمنحها في المستقبل الى ماشاء الله تعالى . فهو اذا جدير بالتبجيل

ايها المبعوثون الافندية

كونوا على علم بأن الله هو حامي حقوق السلطنة والمملكة والدولة أولا ، ثم الامة ومجلس نوابها! لذلك كانت وظيفتكم هامة ومقدسة ، وغاية مطلوبي ان تجعلوا سعيكم وغيرتكم وقصدكم ونيتكم بنسبة تلك المكانة الهامة وهذه القدسية . واني اؤكد لكم بأني نصبت نفسي بعناية الكريم للمحافظة على أحكام القانون الاساسي الضامن والكافل

*) ادب السلطان للمبعوثين مأدبة حضرها معظم المبعوثين ، وتخلف فريق منهم عن حضورها ، وكانت أعدت خطبة سلطانية للترحيب بالمبعوثين لازالة ذلك الاثر السيء الذي علق بأذهانهم من خطابه في افتتاح مجلسهم (راجع ص ٨٨٠ م ١١)

لهذه الحقوق المقدسة . واؤكد لكم بأنه اذا وجد من يخالفه فأني سأكون أول خصم وأول عدو له أيا كان بصفتي خليفتكم وسلطانكم

نضرع إلى الله تعالى أن يكون معينا وظهيرا لنا في سعينا وغيرتنا في سبيل دولتنا وأمتنا وسلامة وطننا المقدس (١)

* * *

جواب رئيس مجلس المبعوثان

﴿ عن خطبة السلطان ﴾

إن التاريخ الذي ينقل الوقائع الماضية للخلف لم يسجل الى الآن في حياتنا السياسية يوما عظيماً بهذا المقدار . ان السلطان والامة اللذين كان يتحسر أحدهما على رؤية الآخر من زمن طويل يأكلان اليوم على مائدة واحدة ويشربان من إناء واحد ! . ولم يعرف مثل هذا الائتلاف والاتحاد الا في عصر السعادة (٢)

مرت ثلاثة عشر قرنا والشرق محروم من رؤية السلطان مع الأمة وجودا واحدا . ان العرب قد أظهروا للوجود مدنية عظيمة وكذلك العثمانيون سيكونون متمدنين قلبا وقالبا مع سلطانهم ، وبذلك يكونون موفقين لاعلاء شأن الوطن والتوفر على حفظه وصيانته ويكسبون موقعا ممتازا في عالم المدنية . ونواب الأمة يرضون لذاتكم السلطانية تعظيمهم واحترامهم لقاء ما نالوه في هذه الليلة من جلالتكم من الاعزاز والالتفات

---

(١) بعد ان اتم جواد بك رئيس كتاب المابين هذه الخطبة التفت السلطان الى احمد بك رضا رئيس المبعوثين قائلا « اني لا اذكر دقيقة واحدة من عمري كنت سعيدا فيها بهذا المقدار ! »

(٢) يريد بذلك عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين الذي كان الخليفة فيه لا ميزة له على أحد من أفراد الامة . ذلك العصر الذي كان يجرأ فيه رجل من آحاد اليهود أن يمد يده الى النبي صلى الله عليه وسلم ممسكا بثوبه مخاطبا اياه بقوله: انكم يا بني عبد المطلب قوم مطل! انه لعصر جدير بأن يسمى عصر السعادة

نهضة الازهريين

عسير على المفكر أن يحيط علما بكل ما يقع تحت نظره ، وعزيز عليه ان يجهل اسباب أمر واقع ، ولهذا كان الفكر كثير الدأب والتجوال ، لا يقر له قرار حتى يكون له إدراك صحيح لما يرى ويشاهد ، واذ ذاك يرى أنه اذا حكم على شيء كان ذلك الحكم مدعماً بالاستقراء ، ناشئا عن مقدمات لا تنتج غيره .

ان فيما يتفق عليه جمهور المفكرين كثيرا مما يكون موضعا للشبهة ، وللأفكار فيه مسارح ومذاهب ، لطموس معالمه وخفاء كنهه ، ولذلك لم يتحقق الإجماع على ما لا بد من البديهيات الا فيما ندر وقل ، وان مما اتفق عليه العلماء استحالة وقوف عمل ما عند حد محدود ، لا يتنزل الى هبوط ولا يتوقل الى صعود .

لا يبعد ان يذهب قصار النظر الى إمكان ذلك ، وانى لا اوجه كلامي الى هؤلاء ، بل اخاطب به أرباب العقل ، وأريدهم أولئك الذين لا يهملون أمر الفكر ، بل يستعملونه فيما خلق له ، ولكل وجهة وضحى

تأمل في أي عمل من الاعمال تأمل ثاقد البصر ثاقب البصيرة ، ثم ارجع الى نفسك ، وأنا ضمين بأنك تحكم إما بترقيه واما بتدليه ولا وسط بينهما

كل هذا مما اثبته المشاهدات ، واستفاضت بتفصيله النظريات ، حتى بات من المقررات التي لا نزاع فيها بين من يعقل ويفكر ، ولذلك كان في حال الأزهر ويقائه في نقطة محدودة لا يتجاوزها قيد شبر لمن ينظر اليه بادي الرأي حيرة للعقول ومضلة للافهام !

افرغ ذلك العاقل الحكيم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده جهده في سبيل إصلاح الازهر وقضى دائبا على ذلك سنين لو أمضاها في التأليف والكتابة لملأ الخزائن حكمة وعرفانا

صاح بالازهريين صيحة مست منها آذان وتفتحت بصائر ، فأصاخ قوم لقوله ، وثار آخرون ينبزونه باللقب ، ويعرقلون مساعيه المفيدة ، فريق منهم عاند عن غي وجهل ، وآخرون كانوا يحنون ويوعدون ، وكثيرون منهم حملوا على ذلك وهم

كارهون !! ولكن الامام كان في أول الامر مؤيدا من الامير فلم تؤثر في عمله صيحاتهم ، ولم تصدف به عن سعيه سعاياتهم ، فأسس للازهر مجلس ادارة على نمط ديمقراطي لايدع لكبير نفوذا فيه ، ولا للامير سلطة عليه ، ونفخ روح الاستقلال في رجاله بما كان يريهم من جلائل اعماله ، وجلس من الطلاب مجلس مفيض الحكمة على العقول ، ومربي الاخلاق والنفوس

لم تكن العقبات والعوائر الأولى صادّة له عما انتدب له وصمّم عليه ، بل كان لا يأبه لها — وذلك شأن أرباب النفوس الكبيرة — الى ان ظهرت له بشكل جديد ، يمدّها نفوذ قويّ ، ويؤيدها مقام عليّ ، فتنكر لها كما تنكرت له ، وواثبها حينا كما واثبته ، حتى كانت تلك الوقفة المشهورة للامير ، وفيها نطق بما كان اكنّه ، واظهر ما اخفاه واجنّه ، قال :

« ولقد كنت اود ان يكون هذا شأن الازهر والازهريين دائما ولكن من الاسف رأيت انه وجد فيه من يخلطون الشغب بالعلم ومسائل الشخصيات بالدين ويكثرون لذلك من اسباب القلاقل حتى انه لما بدا شيء من بعض المغاربة المجاورين فيه عند اسكانهم في المحال التي خصصت لهم في الاروقة التي عمرت حديثا على نفقة ديوان الاوقاف كان من اهل الازهر نفسه من يهددهم بالعساكر ويتوعدهم بالنفي ويستفز نفوسهم بمثل ذلك للقيل والقال والاضطراب والهياج » الى ان قال :

« وأول شيء اطلبه انا وحكومتي ان يكون الهدوء سائدا في الازهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشتغل علماؤه وطلبته الا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن تزييف العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء »

نطق الأمير بخطبته تلك ففهم الامام من بواطنها أكثر مما فهم الناس من ظواهرها ، فاستيقن أن العراقيل التي تقف في سبيله إن لم تقدر على زحزحته عن مكانه ، فانها كفيلة بتعطيل عمله واصلاحه ، فخرج من حضرة الأمير والأسف مستولٍ على نفسه ، ورأى ان الخروج من مكان أراد ان يجعله كعبة للاصلاح ، قبل بدئه بسنين ما يريد — أصبح واجبا محتماً ، فاستقال من ادارة الأزهر هو وصديقه الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان ، ولقد كان لتركهما الأزهر اضطراب وحزن

شاركت مصر فيه سائر انحاء العالم الاسلامي ، لان الرجاء بالاصلاح الاسلامي كان معقوداً بهذين الرجلين الزعيمين به . ثم مضى الامام إلى ربه ولسانه يتلجلج بقوله :

ولكنه دين أردت صلاحه　　أحاذر أن تقضي عليه العمائم

استحوذ اليأس على النفوس من إصلاح الأزهر بعد ذلك ، وحكم الناس بأنه سيصير طلالا دارسا ، لان طريقين يسير الناس فيهما في هذه الدنيا : فإما فناء وإما ارتقاء ، ولا ثالث لهما ، ولا وسط بينهما كما مرَّ من قبل ، واجمع الكثيرون على ان الأزهر سائر في الطريق الأولى ، وصادف عن الأخرى ، وكان أناس في حيرة من أمر الأزهر ، فلا يرون انه واقف ساكن لا يسير الى تدل ولا إلى رقي !! وهذا هو المحال بعينه . وقد كان الاستاذ الامام يقول : يستحيل ان يبقى الازهر في هذا العصر على ماهو عليه فان لم يعمر ويرتق فلابد أن يخرب ويزول

رأى الأمير بعد ذلك ان يصرف عنايته في سبيل إصلاح الأزهر ، وتنير رأيه في حفظ الحكومة منه ، وادخال العلوم الجديدة عليه ، حتى أصبح يراها من الفروض المحتمة ، فألف له مجلسا عاليا هو رئيسه في بعض الاحيان ، فقرر المجلس وضع نظام جديد للازهر ، وندب اعضاؤه يجمعون نظامات المدارس الاميرية وما كان وضعه المرحوم الاستاذ الامام ، ولخصوا من كل ذلك نظاما جديدا وضعوه ليسير عليه الأزهر ، فكان من عيوبه الكثيرة ان الاساتذة أنفسهم لا يستطيعون السير عليه ، فقد وضعوا فيه علوما جديدة أوجبوا على الطلاب ممارستها ، وأكثروا فيه من العلوم والفنون التي يستحيل على طالب لم يتوفر على تحصيلها من قبل ان يلمَّ بها ، وحتموا على من أوشكوا ان ينتهوا من الامتحان تأدية الامتحان فيها ، مع علمهم بأن هذا من الارهاق الذي لا يستطاع حمله ، فان الطالب الذي بلغ الثلاثين أو ما فوقها يعسر عليه أن يرجع إلى مدارسة كتب السنة الأولى وبينه وبين الامتحان سنة أو سنتان ! ! على انه لا يوجد من الاساتذة من يحسن تدريسها بل لا يوجد من ألمَّ بها أو زاولها !

سألني أستاذ عهد اليه تدريس تاريخ آداب اللغة ماذا أفضل من التواريخ لإقرائها ؟ أ ابن خلكان أم ابن الاثير ! ! وجاءني أستاذ آخر يسألني ما هي المحاضرات ؟ ! وربما كان السائلون لغيري أكثر ، على أنهم يسألون عن موضوعات

ليست غريبة عنهم فما بالك بعلوم الطبيعة والرياضة ونحوها ؟

جاء البرنامج الذي وضعوه حاويا أكثر من عشرين فنا ما بين قديم وجديد، وأوجبوا على طلاب السنة الثانية عشرة ان يمتحنوا فيها فكأنهم بهذا فرضوا عليهم أن يعودوا الى السنة الأولى ! ووزعوا العلوم على من لا يحفظ حتى أسماءها ! فمن ذلك أنهم فرضوا على ضرير ان يقوم بتعليم الاملاء ! وأرادوا على تدريس الرياضة من لا يحسن القواعد الأربع ! وهكذا كان توزيع سائر العلوم على المدرسين فكانوا كلها توغلوا في تطبيق النظام ازداد التهويش والاضطراب

رأى الطلاب انهم مسوقون في طريق غير معبدة ونهج غير سوي، فاستيقنوا أن النهاية ستكون شرا من البداية، وكان كثيرون منهم ممن حضروا دروس الاستاذ الامام عرفوا منها ان للانسان أملا في هذه الدنيا يسعى اليه، وغاية يقصدها بعلمه وعمله، ورأوا أنفسهم انهم ليسوا من ذلك في عير ولا نفير، فاضطربت أفئدتهم وحزنت نفوسهم، اطلوا على مستقبل مظلم، مسبوق بالنكد والارهاق، ورأوا الأهواء تصرفهم، وبؤس العيش يؤذيهم، فهبوا من رقدتهم، واستيقظوا من غفوتهم، ونهضوا نهضة من نفخت فيه نسمة من الحياة كانت ساكنة ولا محرك لها فحركتها حرارة هذا النظام وبرودة تفيئه من جهة فصارت ريحا عاصفا

ولا يقيم على ضيم يراد به ... الا الاذلان عير الحي والوتد

من ذا الذي كان يظن ان طلاب الأزهر سيخرجون من الأزهر بقضهم وقضيضهم وهم بضعة آلاف ليعلنوا للملأ ان ما هم فيه لا يرضى به من كان إنسانا، وان ما أوتوه من النظام الجديد انما هو نتيجة افكار تستطيع ان تحشر المؤتلف والمختلف معا، ولكنها لا تحسن النظام بل لا تعرف طرقه ؟

خرج الطلاب من أزهرهم حذر ما أريدوا عليه، وابتغاء الوصول الى خير منه، فطوّفوا في الشوارع، وذهبوا الى الجزيرة فخطبوا، وكان مظهرهم من أجمل ما تقع عليه العين، وكان أحسن ما هم فيه نظامهم وأناتهم، فقد كانت صفوفهم متوازية، وأبصارهم خاشعة، تأدبا بأدب الدين، وتخلقا بأخلاق حملة العلم.

سرّ الناس بهذا المظهر الجميل أو المظاهرة كما يقول الكتاب، واوتاحت نفوسهم

إلى الازهريين بعد ان حكموا عليهم بالموت الزؤام ، ولكن القيمين عليهم من المدرسين والمفتشين ربعوا وغضبوا ، وصوروا الحال للأمير بعكس ما وقع ، فأوهموه ان فريقا أو أفرادا حقيرين ، وكلتهم الحقيقية : هلافيت ! ، قاموا يصخبون ويصيحون ، وأن تأديبهم من السهولة بمكان ، فلم يحفل الأمير بندائهم ، ولم يستجب لقولهم ، ولكن ظهر بعد ذلك غشهم لانفسهم وللأمير ، ورأوا من اتحاد الازهريين وصدق عزيمتهم أكثر مما عندهم من القسوة والصلف ، وان الامر واقع ماله من دافع ، فلم يزدهم ذلك الا تشددا وعتا ، فلما منهم أن الشدة تفرق جمعهم ، وتحل عرى اتحادهم ، فجاءوهم برجال الشرطة وركبانها ، فأحاطوا بالأزهر من كل جهة ، وسدوا من دون طلابه كل منفذ ، حتى ان فريقا منهم لم يرض بما دون التحرش بقاله وأعماله ، فأين من هذا تهديد المغاربة الذي عده الامير بدعا ؟ ولكنهم ألفوا الطلاب مدرعين بالأناة والصبر ، معتصمين بحبوة التؤدة والسكينة ، فما استطاعوا حملهم على ما يكره من مثلهم ، ولا إرادتهم على غير ما أرادوا أنفسهم عليه ،

لم تقف الحكومة موقف الحكمة امام حركة الازهريين ، بل وقفت شاخصة ببصرها كمن تعرض امامه أنواع من الصور المتحركة ! ولم تحفل بمطالب الازهريين الذين اضربوا عن حضور دروسهم رجاء نيلها ، على انه لم يكن من العسير اجابتهم الى بعضها ، ولو انهم اجيبوا لرضوا وشكروا ، وتنازلوا عن المطالب الاخرى واعتذروا

طلبوا المساواة بين المعاهد الدينية في حقوق الطلاب ورواتب المدرسين حتى لا يكون راتب المدرس في الازهر مئة قرش وراتب ضريعه في الاسكندرية ثمان مئة قرش كما هي الحال الآن مع ان الازهر رأس المعاهد الدينية . فمن ذا الذي لا يقول انهم طلبوا حقا والتمسوا مساواة وعدلا ؟

طلبوا مدرسين من ارباب الكفاءة والاضطلاع ولا سيما الذين يعهد اليهم تدريس العلوم الجديدة التي لا يقدر غير الضليع بها على تدريسها ، وان تلقى اليهم على نحو القائها في المدارس النظامية ، وأن ينفذ النظام الذي وضع لهم بالتدريج اتباعا لسنة الارتقاء الطبيعي ، لا أن يدفعوا به في صدورهم مرة واحدة ، ويحملوا على الجري عليه كلمة كلمة ، أفليسوا بهذا المطلب محقين ، وبه جديرين ؟

طلبوا أن يكون لحملة الشهادة الابتدائية والثانوية منهم حظ من الاستخدام في المحاكم الشرعية والاوقاف والخطابة والوعظ وغير ذلك من الوظائف الحقيرة . فهل هم بذلك مخطئون بما طلبوا ؟

طلبوا أن لا يحمل الطالب الذي يؤدي الامتحان في هذا العام على تأدية الامتحان في العلوم الجديدة التي لم يدرسها ولم يعرف من امرها شيئا ، لأن حمله على اداء الامتحان فيها من الارهاق والظلم البين فهل اساءوا وظلموا !

طلبوا ان يكون لهم احترام امام ذوي السلطة ، وأن يسمح لهم بالسفر بنصف اجرة في السكك الحديدية ولشيوخهم من دون اجرة مساواة لهم برؤساء الاديان الاخرى ، فهل كانوا بذلك بدعا ، ام اتوا امراً إدا ؟

تلك معظم مطالب الازهريين فأي منصف بل اي مجحف يبيح لنفسه الادعاء بأنهم ليسوا احق بها واهلها ! رأوا أنهم هضموا وظلموا ، واعطي اخوانهم في الاسكندرية فوق ما سألوا ، فطلبوا المساواة بهم . ورأوا أن العلوم وزعت على مدرسين لم يحيطوا بها علما ، بل لم يعرفوا لها حدا ولا رسما ، وقد مر على القارىء ان الإملاء عهد في تدريسه الى اعمى ، والرياضة الى من لا يعرف لها مسمى ، فكيف مع هذا لا يكونون محقين في طلب المدرسين الاكفاء ، والعلماء الفضلاء ! . رأوا ان الحامل منهم للشهادة الابتدائية اسوأ حظا من حجاب المحاكم ، وغيرهم من مزاولي ما هو دون مهنتهم فطلبوا ان يكون لمن يحملها نصيب في بعض الوظائف الحقيرة ! فهل هم بذلك ظالمون ؟ رأوا انهم ممتهنون مزدرون وان واحدهم اذل من قيسي بحمص ، وان أندادهم واقرانهم من ارباب الديانات الاخرى لهم من الاحترام عند رجال الحكومة ومن الميزة في بعض الشؤون ما حملهم على الطلب بأن يعاملوا مثلهم ، فهل يعد هذا من الافتيات !

وهنالك مطالب أخرى ما كان لهم أن يطلبوها وان كانت حقا وعدلا ، كطلب تعيين شيخ الجامع الازهر بالانتخاب وغير ذلك وربما يكونون طلبوا كل ذلك ليجابوا الى بعضه ، على ان الحكومة هزأت بهم وسخرت منهم ، فكان ذلك داعية لصدور حكم المجلس العالي للازهر عليهم وهذا هو حكمه بعد ذكر الاسباب :

« قرر المجلس ما يأتي : حرمان طلاب العلم بجامع الازهر من المرتبات

والجرايات والامتيازات الحائزين عليها بحسب تبعيتهم للازهر ويمنعون من دخوله!! الخ»

جوزي الازهريون بهذا الحكم لطلبهم تلك المطالب «وسيحفظه التاريخ الذي لا ينسى شيئا، ويكون لمن بعدنا حكم عليه واي حكم !!

لم ار فيما رأيت في هذه البلاد امرا عنيت به الامة واضطربت له عنايتها واضطرابها بأمر الازهريين ، وليس لهذا من سبب الا الشعور العام بأنهم مضهودون مضطهدون « فكان اندفاع الامة في الرغبة الى الحكومة والالتماس من الامير بمعاملة الازهريين بالرفق والحسنى ، وإجابتهم الى ما طلبوه بحق وعدل ـ كان ذلك سببا لنهضة النظار ورغبتهم الى الامير ان يصفح عما عده ذنبا للازهريين « وقد كان ذلك وقرر إرجاع الازهر الى قانون سنة ١٣١٤

سكنت ثائرة الأزهريين وارتاحت نفوسهم الى هذا القرار « وأفرخ روع الأمة بعد القلق والاضطراب «ولكن قام فريق من اصحاب الجرائد وكتابها الذين يتكلمون بغير وجدانهم «ويكتبون بمؤثرات كاذبة يخلقونها الأنفسهم «— يصيحون ويصخبون متململين من هذه المغبة ، متبرمين من سوء النتيجة «ناعين على جرائد أخرى كانت تشد أزر الازهريين لأنها كانت تؤيدهم ذلك التأييد ، وذلك ليوهموا الأمة ان الرجوع الى ذلك القانون خسران مبين !!!

لو لم يكن في الرجوع الى ذلك القانون إلا حصر سلطة الازهر في مجلس ادارته لعد هذا وحده غنما واي غنم «على ان نظام القانون القديم الدراسي كان وضعه على نمط يجعل للطلاب حظا من العلوم الجديدة من دون أن يرهقوا أو يحملوا على مالا يستطيعون، فقد كان القانون يخول لمن كان في السنة السادسة الاختيار في الامتحان في العلوم الجديدة ، فله ان يمتحن فيها اذا شاء ويكون اذ ذاك مقدما على غير الممتحن فيها، وذا حظ من الجوائز المالية التي كانت خصصت لمن يبرز فيها . فأين هذا من القانون الجديد الذي يقضي حتى على من كان في آخر سني الدراسة ان يمتحن في تلك العلوم كلها ؟

ليس من يحملك على مالا يستطاع حمله بالقسر كمن يسوقك الى صنع المستطاع الهين بما في وسعه من أنواع الترغيب والتحبيب «وهذا ما جعل الطلاب يتلقون القانون القديم بالرغبة والبذل ، وحملهم على النفور من الجديد بالكراهة والسخط ؛ وذلك

أمر منتظر والمثل يقول « ان رمت ان تطاع فسل ما يستطاع »

يقول المتفيقون اللاغطون إن نفور الازهريين من النظام الجديد دليل على جمودهم ، وأنا أقول إنه دليل على استقلالهم ونهضتهم ، وحجة أولئك زعمهم ان الازهريين لم يرتضوه لانفسهم لانه يحملهم على ممارسة العلوم الجديدة وهم لا يشاءون ان يضربوا بسهم فيها !! وسلطاني انهم رفضوه لكونه مشوها مضطربا لا يمكن السير عليه ، وقد مر على القارىء الالماع إلى شيء من مساوئه ، أما العلوم الجديدة فانهم عرفوها أيام كان كثيرون من واضعي النظام يحاربونها ، ويرمون مزاوليها بالتضليل والتكفير . فالرياضة والهندسة والهيئة والميقات وتقويم البلدان والتاريخ — كان يدرسها الازهريون ولكنها كانت تدرس لمن لم يتجاوزوا السنة الرابعة الدراسية لا كما تقضي النظام الجديد بارغام جميع الطلاب عليها !

الغرض الاول من الازهر تخريج الاخصائيين في علوم الشرع ، ومن الضروري ان يكون العالم الشرعي ذا إلمام بالعلوم الجديدة لأن الجاهل بها في هذا العصر هو والأعمى شرع ، ولكن من الرعونة والبلاهة ان يراد من العالم الشرعي ان يكون إخصائيا في الرياضة والطبيعة والهندسة وغير ذلك »

ألا ان الاصلاح الحقيقي لا يكون بزيادة العلوم ووضع القوانين ، وإنما يكون بالرجال الاكفاء الضليعين الذين يزنون الاشياء بميزانها ويضعون كل شيء في موضعه اذا كان لديهم المال الذي يقتضيه ذلك الاصلاح . وإن بين ظهرانينا كثيرين من هؤلاء وهم من متخرجي الازهر وموظفي الحكومة ، فاذا على الحكومة لو عهدت الى هؤلاء اصلاح الازهر — وهم القادرون وحدهم على ذلك — اذا كانت تريد الاصلاح !

واحسن ما نختم به هذه المقالة الثناء على الشيخ حسونه النواوي الذي ظهر من استقلال فكره وكمال رجوليته ما ذكرنا بكلمة الاستاذ الامام فيه « انه افضل من يليق لمشيخة الازهر » بل ما حمله على الاستقالة لأنه لم يجب الى مطالب الازهريين اذ سألها ، فكان ضنينا بكرامته ان تهان ، وبارادته أن تتلاعب بها الاهواء ، وهذا هو الرجل الفذ ! كثر الله فينا من أمثاله

حسين وصفي رضا